صدى الحرية / العدد 62 / الجمعة 23 / ابـــار / 2014

صدى الحرية

فريق QMT قدسيا الإعلامي

قدسيا .. قبل الانتخابات

في العام الرابع للثورة

مصادفات الثورة السورية

وأد الإرادة الشعبية

المُرجِفُونَ في المدينة

مواسم ثورية ....

* أسبوعية * ثورية * اجتماعية * توعوية * منوعة *

قدسيا... قبل الانتخابات

انتخابات مقابل الامتحانات:

تتزامن مواعيد امتحانات الشهادتين الإعدادية والثانوية مع التحضيرات للانتخابات الرئاسية في سوريا، بظل ظروفٍ معروفةٍ للجميع، ولكل مدينةٍ من المدن السورية حالتها الخاصة ويتنوع أسلوب نظام الأسد بالتنكيل بها كلٌّ وفق منهجيةٍ واستراتيجيةٍ معينة، وإن كنا هنا بصدد الحديث عن المدن الواقعة تحت سيطرته، وتتراوح هذه الأساليب بين الترغيب والترهيب، فعلى سبيل المثال يتم تأجيل دفع أجور الموظفين في القطاع الحكومي إلى ما بعد الانتخابات، وإجبار الموظفين على الخروج في مسيراتٍ مؤيدة داخل العاصمة دمشق، تحت أغراضٍ دعائية مكشوفة.

المساومات في قدسيا ؟

أما عن السر الذي يقف وراءه منع الطلاب في مدينة قدسيا من أداء امتحاناتهم داخل المدينة، فهو الرفض الذي قابله نظام الأسد حين خيّر أهل المدينة بين إقامة مراكز انتخابية مقابل الإبقاء على المراكز الامتحانية في المدينة، بالتالي كان هذا الرفض ذريعةً لعقاب الطلاب.

وفي صورةٍ أخرى لممارسة هذا النوع من الترهيب، قامت عصابات الأسد بإنزال بعض الطلاب من إحدى الحافلات قرب مخفر المدينة، وإجبارهم على الخروج بمسيرات تأييد في ضاحية قدسيا، يذكر أن هؤلاء الطلاب ممن كانت مراكزهم الامتحانية في ضاحية قدسيا.

وما يخبأه النظام السوري من وسائل للضغط على من لم ينتخب ستكون دليلاً جديداً على سياسته التعسفية وخرقه لحقوق المواطنين في بلاد يدعي أنها تحكم باسم الديمقراطية، في ظل نظامٍ جمهوري.

الثورة والانتخابات:

بلا شك وتحت أي ظرف، فإن الرفض لإقامة مراكز انتخابية في المدينة لم يأتِ اعتباطاً، وإنما ينبع من واقع الفكر الثوري ومنظوره الذي يقول: ((إن مجرد الاعتراف بالانتخابات أو حتى صورها وإن كانت شكلية، هو اعترافٌ ضمني بنظام زرع الموت والقتل في كل بقعة من الأرض السورية))، وجوهر الموضوع أن النظام يقوم بابتزاز الناس وإجبارهم على سلوك طريقٍ لم يختاروه بإرادتهم وإنما تحت وقع بطشه والخوف منه.

إعمارٌ مؤجل:

من جانبٍ آخر، فقد منعت أجهزة النظام الأمنية إدخال مواد البناء إلى المدينة وبشكلٍ مفاجئ، علماً أن حالة المنع هذه طالت مدن الريف الدمشقي كله، ما يعني الإضرار بمصالح الناس، وبخاصةٍ في بلدات تشهد معه إبرام مصالحات، فهل إعمار ما خربته آلة الأسد هو رهنٌ للانتخابات أيضاً، وليكون بدوره وسيلة ضغطٍ جديدة؟ أم أن الأسد لم يعد يرغب بحكم البشر، فانتقل ليحكم الحجر؟

الكلمة الأخيرة:

لا يمكن الحديث عن مثل ذلك دون التطرق لذكر من بيدهم ملف المصالحة، كيف يقبلون بالمساومة بين مصالح أبنائهم الطلبة، ومراكز انتخاب مزيدٍ من الدماء؟ المسؤولية اليوم كبيرة والخيارات صعبة أمام الناس وأولنا في ذلك هم الطلاب هدف النظام دائماً فهم أول من يتخوف منهم، لكن يبقى احتمال " دفع الأذى وسيلةٌ للصمود "، في وقتٍ يقول واقعه بضعفنا، فيما تشهد الدنيا بقوتنا.

مصادفات الثورة السورية

الساعة الواحدة إلا خمس دقائق دوى صوت انفجارٍ هائلٍ هز أرجاء العاصمة اللبنانية بيروت، كانت سيارة مفخخة محملة بما يقارب ألف كيلو غرام من المتفجرات، قيل أنها (مادة السي فور، أو التي إن تي)، يقودها (انتحاري) على ما قيل أيضاً، قد استهدفت موكب رئيس الوزراء رفيق الحريري قرب فندق "سان جورج"، أثناء عودته من مجلس النواب اللبناني، إلى قصره في منطقة قريطم، بعد ذلك بساعاتٍ قليلةٍ ظهر على قناة الجزيرة القطرية شريطٌ مسجلٌ لشخصٍ ادعى فيه تنفيذ تلك العملية الانتحارية، كان هذا الشخص شاباً فلسطينياً ـ لبنانياً، يدعى "أحمد أبو عدس".

لكن ما علاقة ما جرى في بيروت شباط 2005 بالمشهد السوري الآن ؟

وهو في الواقع ما يشكل سؤالاً منطقياً لأي متابعٍ، فحادثة الاغتيال جرت قبل ما يزيد على التسعة أعوامٍ خلت، وتتولى اليوم محكمةٌ دوليةٌ خاصةٌ، مقرها لاهاي، محاكمة المتهمين الرئيسيين فيها، وهم بالمناسبة أعضاءٌ قياديون في (حالش).

لكن لنحاول العودة بالذاكرة قليلاً إلى مشهد بيروت، وتحديداً إلى يوم الرابع عشر من شباط عام 2005، وهو يوم اغتيال الشهيد رفيق الحريري، فبعد وقوع الانفجار وتبين هوية الشخص المستهدف بوقتٍ قصيرٍ، كان أول رد فعلٍ شعبيٍ عفويٍ من قبل معظم اللبنانيين، هو توجيه أصابع الاتهام بالوقوف وراء تلك الجريمة، للنظام السوري الحالي.

هل كان ذلك مصادفةً !؟

وبعد ذلك ظهر الشريط المزعوم (لأبي عدس)، على قناة الجزيرة الفضائية، وكان مما يثير الاهتمام حقاً في ذلك الشريط وحوله، أمران، الأول: هو الشخص الذي عثر على الشريط، وهو المدعو غسان بن جدو، مدير مكتب قناة الجزيرة في بيروت في ذلك الوقت، وقد زعم حينها بن جدو أنه تلقى اتصالاً هاتفياً من مجهولٍ، أبلغه بوجود شريطٍ مرتبطٍ بجريمة الاغتيال على غصن شجرةٍ على جانب أحد الشوارع البيروتية، بن جدو هذا الذي تبين فيما بعد أنه إحدى الأدوات الإعلامية الإيرانية، وقد أسفر بن جدو عن حقيقة ارتباطاته وتبعيته المطلقة لإيران، وحليفتها النظام السوري، فاستقال من قناة الجزيرة القطرية، التي اتهمها بالمشاركة في المؤامرة الكونية على نظام المقاومة والممانعة، بسبب تغطيتها لأحداث الثورة السورية، وأصبح مديراً لقناةٍ إيرانيةٍ ناطقةٍ بالعربية اسمها "الميادين"، يتنقل مراسلوها وإعلاميوها يومياً بصحبة ضباط وقادة الحرس الثوري الإيراني، وعناصر (حالش)، وضباط وعناصر النظام السوري، ويجرون معهم حصرياً مقابلاتٍ ولقاءات، من ميادين وساحات القتل السوري اليومي.

فهل كان إرسال شريط "أبي عدس" المزعوم لبن جدو دون غيره مصادفةً أيضاً ؟

أما الأمر الثاني المثير للاهتمام في يوم اغتيال الحريري، فكان اسم التنظيم الذي ادعى "أحمد أبو عدس" الانتماء إليه، وتنفيذ عملية الاغتيال لحسابه، وبحسب ما قال "أبو عدس"، وما ظهر مكتوباً بخطٍ أبيضٍ على رايةٍ سوداء (قاعدية)، عُلقت على حائطٍ خلف "أبي عدس"، كان الاسم هو: جماعة النصرة والجهاد ـ بلاد الشام !!

جماعة النصرة والجهاد في بلاد الشام، شباط 2005، لم يكن أحدٌ قد سمع بهذا التنظيم قبل ذلك اليوم، والأرجح أن أحداً أيضاً لم يسمع به بعد ذلك، لكن ما سمع به الجميع لاحقاً هو تنظيمٌ آخرٌ يحمل اسماً مشتقاً من الاسم السابق، ألا وهو تنظيم جبهة النصرة لأهل الشام، كانون الأول 2011، كانون الثاني 2012، وهو التنظيم الذي بات معروفاً جداً في المشهد السوري والراهن.

هل كان الاسم ذاته في الحالتين مصادفةً أيضاً ؟

جبهة النصرة في سوريا فرعٌ لتنظيم القاعدة الدولي، أعلنت تجديد ولاءها وبيعتها لقائد التنظيم الدكتور أيمن الظواهري، في نيسان 2013، بعد ما طالبها أبو بكر البغدادي بمبايعته خليفةً للمسلمين، والبغدادي هذا هو أمير تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)، وهو التنظيم الذي كان تابعاً لتنظيم القاعدة أيضاً، قبل أن ينشق عنها مؤخراً.

في أخر تصريح لأبي محمد العدناني، الناطق الرسمي باسم (داعش) المنشقة عن الظواهري، وفي معرض رده على خطاب الأخير في نيسان 2014، قال العدناني من جملة ما قال، أن (داعش) التزمت سابقاً عدم الضرب داخل إيران، كما التزمت عدم استهداف المصالح الإيرانية، لأن قيادة تنظيم القاعدة الدولي طلبت منها ذلك، مصرحاً لا ملمحاً بوجود تعاونٍ وتنسيقٍ لا بأس به، بين قيادة القاعدة وبين النظام الإيراني، وما أعلنه العدناني لم يكن سراً، فقد بات معروفاً ومنذ عدة سنواتٍ، أن العديد من قيادات القاعدة موجودون مع أسرهم في إيران، كما بات معروفاً أيضاً أن إيران وفرت خطوط إمدادٍ للتنظيم لمحاربة الاحتلال العسكري الأمريكي واستنزافه في كلٍ من أفغانستان والعراق، ومعروفٌ أيضاً الدور الذي قام به النظام السوري سابقاً ـ بطلبٍ وتخطيطٍ إيرانيٍ ـ في تمرير المقاتلين والمجاهدين الذين كانوا يتوجهون إلى العراق لمحاربة الأمريكيين فيها.

واليوم تدور في دير الزور وغيرها من مناطق شرق وشمال سوريا، حربٌ طاحنةٌ بين (المرتدين) جبهة النصرة وحلفاؤها في الجبهة الإسلامية، وبين (الخوارج) الدولة الإسلامية في العراق والشام.

هل هذه الحرب مصادفةٌ هي الأخرى ؟

صورتا مشهدي بيروت 2005، ودير الزور 2014، تظهر للعيان أنها تنطوي على أربعة عناصر متكررة، هي: النظام السوري، والنظام الإيراني، والقاعدة، و(حالش)، عليه فإن خطأً لا يكاد يرى يمتد من بيروت إلى دير الزور، وربما ظلال مشهد بيروت في شباط 2005، تظهر جليةً للعيان في دير الزور 2014، وأهم ما تشي به تشكيلات وتموجات اللوحتين هو أنهما من ضربات الفرشاة ذاتها، للرسام ذاته.

فهل كان ذلك مصادفةً أيضاً ؟

وهل هي مصادفةٌ أن يكون الضحية في الصورتين هو رغبة الشعبين اللبناني والسوري، بالتخلص من هيمنة النظامين الممانعين على حياتهم وثرواتهم ومصائرهم، ورغبتهم أيضاً ببتر ذراعيهما المقاومة والتكفيرية نهائياً !؟

مع انطلاق شرارة الثورة أطلق النظام الاتهامات ضد المتظاهرين واصفاً إياهم بالمندسين الخارجيين الذين يستهدفون إنشاء إماراتٍ سلفيةٍ ظلاميةٍ في سوريا، وقد استغرب الجميع آنذاك تلك الاتهامات، لأنها لم تكن تستند إلى أي منطقٍ أو أي واقعٍ يبررها، وكان هناك سؤالٌ هامٌ، هو لما لم يتهم النظام في ذلك الوقت الإخوان المسلمين، مثلاً، وهم خصومه التاريخيون المفترضون ؟

ألم يكن ذلك الاتهام فيما لو وقع أكثر منطقيةً وعقلانيةً من التخويف بالقاعدة، وهل كان ذلك التضليل المتعمد مصادفةً ؟

لا يشك أي منصفٍ بأن الثورة السورية هي واحدةٌ من أعظم الثورات التي عرفها تاريخ الإنسانية، ولعل أحد أهم وأعظم آثار هذه الثورة، هو أثرها الكاشف والفاضح، ومع مرور الأيام وانكشاف الكثير من الأوراق والأدوار والمواقف، لا بد أن يأتي اليوم الذي نعلم فيه السر والرابط بين كل تلك المصادفات غير العفوية، وغير السعيدة.

المُرجِفُونَ في المدينة

تمهيدا لتثبيت ملكيّة رئيس على بلد كان يُفترَضُ أنّ نظامَ الحكم فيه جمهوريٌّ فإنّنا نجد النظام يلهث وراء انتصارات آنية يروِّجُ لها في الوقت الحالي، أعني بذلك استيلاء النظام على حمص، وهذا حدثٌ مهمٌّ يجب أن نقف عنده، لأن بعض المُرْجِفِينَ من الناس يضربون هذا مثلاً لعجزِ الثورة وعَجْزِ الثوار، وكأن الثورة مختزلة في مدينة واحدة من المدن السورية.

لذلك أقول :مَنْ ظنّ أنّ الثورة انتهت في حمص فهو على خطأ، الثّورة لن تنتهي، انظروا مثلا إلى داريا، إنها على مسافة قليلة جدّا من دمشق، ولم يستطع النظام إلى الآن السيطرة عليها، والحرب كرٌّ وفرٌّ، وكذلك جوبر، وكذلك المليحة، ودوما وحرستا وغيرها، وكل هذه المدن هي على بُعْدِ مسافات قليلة من دمشق، ولا زالت بإذن الله قلعة منيعة في وجه قوات النظام الفاشي على الرغم من كل وسائل التنكيل بها، بداية من حصار الجوع وانتهاء بالأسلحة الكيماوية .

أقف عند(داريا) مثلاً، التي ما زلت أراها تاج العزّ للثورة السورية المباركة، وكأن فيها ملائكة تمدها بعزيمة تحطّمت عليها جميع صخور الباطل، (داريا) التي أراها معجزة الثورة السورية، وهي أكبر دليل على أن النظام كاذب وفاشل لأنّه يُوهِمُ الناس بالنصر في ساحة تبتعد عنه آلاف الكيلومترات، في حين أن قواته ترتعد حين تفكّر بالدخول إلى داريا التي تبعد عن قصور الرئاسة أقل من عشر دقائق بالسيارة، وأبشّركم أنّ النصر على بشّار وأعوانه آتٍ بإذن الله، وأن الله يبشّره ويبشّر أعوانه بخزي في الدنيا والآخرة في نهاية المطاف، وأقول (في نهاية المطاف) لأنّ للباطل جولة أو جولتين، لكنّ جولة الحقّ هي آخر الجولات وفيها يحصد الحق النصر على الباطل ليكون زهوقاً، والعبرة في المعارك تكون بمن يكون له النصر الحاسم في نهاية المعركة، إن المعركة بيننا وبين النظام هي معركة نفسية، وفي قوانين المعارك الحديثة حققّت الثورة السورية إنجازاً عظيما من حيث صمودها أكثر من ثلاث سنوات في وجه آلة القتل التي يمتلكها النظام وتدعمها دول (عربية وإقليمية ودولية)، وهذا في حدّ ذاته دليل على هزيمة النظام ودليل على باطله المهزوم، إذ إن النظام لم يستطع على الرغم من مضي تلك السنوات أن يفرض على الأرض باطله، وأكبر دليل على ذلك أن الثورة لم تهدأ، ولن تهدأ حتى يظهر الحقّ، ولو أن أصدقاء الثورة السورية في كل هذا العالم المنافق وقفوا إلى جانب الثورة بصدق لكان هذا النظام بكل أركانه اليوم في مزابل التاريخ منذ سنوات، لكننا نستمد قوتنا من الله وحده، ونستمد عزيمتنا من صرخة طفل يتيم وأم ثكلى وشعب مظلوم، نستمدّها من الانتصاف للمظلومين الذين لن يبرد الدم في عروقهم حتى يظهر الحق في أرض الشام المباركة .

نعم ينتصر الباطل مرَّةً، وسيحتفل أنصار القاتل المجرم بالانتصار المزعوم، احتفال مشركي معركة (أحد)حين انتصروا على المسلمين، وبعد ذلك أظهر اللهُ الحقَّ ودحر الباطل وعلت صيحات التكبير في يوم الفتح الأعظم، ودانت الأرض لربّها، وأتمّ الله على رسوله والمؤمنين.

الجولة الأخيرة هي مسك الختام الذي يكون النصر فيه للحق وحده، تلك إرادة الله وتلك سُنَّتُهُ في الأرض، فافرحوا أيها الظالمون بنصركم واهتفوا (سَوَا) في جهنّم، (سَوَا) في لعنة الله عليكم إلى يوم الدّين، (سَوَا) شركاء في القتل.

أمّا نحن فمستمرُّون، لن تنطفئ ثورتنا هذه بإذن الله، وسيذكرها التاريخ، كذلك فرح المشركون في معركة (أحد) بنصرهم على المؤمنين، كذلك سنَّة الله في أرضه ليمحّص اللهُ النّاسَ، وليميز الخبيث من الطيّب، فلا تفرحوا بنصركم إن هي إلا جولة والعاقبة بإذن الله للمتقّين.

في العام الرابع للثورة

جورج صبرة

يركز العالم اليوم على التطرف في سورية ، والمنظمات التي تتبنى فكر القاعدة وأساليب عملها الإرهابية ، وهذا أمر مفهوم . لكنه يتجاهل أن نظام بشار الأسد هو الذي استجلب عناصر التطرف والإرهاب إلى سورية . وأن النهج الدموي الطائفي التدميري الذي اعتمده النظام في مواجهة الثورة هو الذي استولد ويستولد نهجاً مقابلاً من نفس النوع والطبيعة. ومن الواضح أن استمرار بشار الأسد وزمرته الحاكمة على رأس السلطة أكثر فأكثر سيزيد معدلات التطرف والعنف والإرهاب ، ليس في سورية وحدها ، بل سيمتد إلى الدول الأخرى في المنطقة ، ودلائل ذلك أكثر من واضحة . إن النظام ، ومن أجل نجاته وتأمين سبل الاستمرار ، يدعم كل أشكال التطرف القومي والديني والطائفي في أوساط الشعب السوري ، ويسعى إلى تسعير الصراعات الجانبية واللعب على التناقضات ، حتى لو أدى ذلك إلى مخاطر حقيقية على وحدة البلاد أرضاً وشعباً ، وقاد إلى تكسير الوحدة الوطنية في المجتمع السوري . في هذا السياق أتت الدعوة لانعقاد مؤتمر جنيف 2 ، وفي هذه الظروف دفع المجتمع الدولي نحوه . وبعد جولتين من أعمال المؤتمر وأكثر من أربعين ساعة من المفاوضات برعاية المبعوث العربي والدولي ، فشل المؤتمر حتى في إقرار جدول الأعمال . وتبين للعالم مدى بعد النظام وحلفائه عن السياسة والحلول السياسية . والكرة الآن في ملعب المجتمع الدولي وعلى الأخص أصدقاء سورية ، لنعرف ماذا هم فاعلون بعد انكشاف المواقع والمواقف لجميع الأطراف . طاقة الثورة ما زالت مفتوحة على العطاء .وعزم السوريين على مواصلة الثورة حتى النصر لا حدود له ، وتضحياتهم من أجل ذلك لا تحتاج إلى شهادة . لكن ما يحتاج إلى إثبات هو صدقية المجتمع الدولي في دعم الحرية والديمقراطية ، ومصداقية أصدقاء الشعب السوري ووفائهم بالتزاماتهم نحوه . فسورية الاستبداد والقمع ونهج الفئوية والإرهاب خطر على الجميع . بينما سورية الحرية والديمقراطية وسيادة الشعب خير على شعبها وعامل أمن وسلام واستقرار وتعاون مثمر مع شعوب المنطقة .من الواضح أن ربيع العرب في دمشق هو الأقسى والأصعب و الأفدح ثمناً ، لكنه في الوقت نفسه الأعمق جذراً والأعظم تأثيراً . إنه باب الحرية الحمراء ، الذي يصمم السوريون على فتحه . أيها الثوار ، أيها الأحرار ، أيها المستفردون بين الأصدقاء والأعداء : تعالوا نعلمهم كيف نحرر المدن من التسلط والقمع ، وكيف تدار بحكمة وعدل ، وكيف نقيم دولة دستورية يعيش الناس فيها بمساواة تامة وبظل سيادة القانون على قاعدة المواطنة المتساوية في الحقوق والواجبات ، لتعود سورية وطناً حراً لكل أبنائها . تعالوا نعلمهم كيف نقيم الوحدة الوطنية الحقيقية في صفوف الشعب ، ونحقق التعاضد الاجتماعي كشعب واحد على غير ما يتكاذبون به مع أعوانهم ووسائل إعلامهم . تعالوا نخبر العالم أجمع أن سورية ستكون بخير في ظل الثورة ، ونطمئن كل سوري أنه في سورية الجديدة سيكون بمأمن ، وأن بلاده ستصبح أجمل . فالبلاد التي تصبح فيها الشهادة ثقافة عامة والحرية مطلباً جماعياً – لا محيد عنه مثل الخبز اليومي – لا خوف منها ولا خوف عليها .

من معاناة الخارج

ياسمين الشام

إن الحنين والشوق يدفعني كي أكتب ما في داخلي وأعبر عن مشاعري من ما رأيته وسمعته ولكن الذي رأيته هو معاناة أي إنسان ترك وطنه لأي سبب كان ولكن الذي عاناه الشعب السوري لم يعيشه أحد قالذل رأيناه والحرمان والتكبر وأمور كثيرة جداً عانيناها فالعامل السوري يعمل بإخلاص وانسانيه وجهد كبير ولا ينال سوى القليل فهذا يدعى احتكار وكذلك الطبيب السوري أصبح كعامل ويأخذ الراتب القليل وكثير مثلهم أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه) فأن لهذا الشعب من هذه الحياة القاسية التي يتمنى لو يعود الى بلده ويموت داخلها أهون عليه من هذا الذي يعيشه هنا ولكن القليل منهم الذي استضافنا بقلب رحب واحس بمشاعرنا وبادلنا الحب والعطف والحنان والانسانيه فعندما جاء الشعب اللبناني استقبلناهم بصدر واسع امتلئ بالحب والحنان والطمأنينة والإنسانية والضمائر الطيبة تمنياها وحتى الان امنياتنا أن يغيروا هذه المعاملة السيئة الى معامله افضل وفي النهاية اتمنى أن يعود الأمن والأمان ونصبح على قلب واحد فعندها يظهر الحق بإذن الله .

وأد الإرادة الشعبية في صناديق الاقتراع

نبيل شبيب

كان تزوير إرادة الشعوب عبر صناديق الاقتراع يجري إلى وقت قريب، باستبعاد المرشحين، أو تبديل صناديق التصويت، أو إضافة أصوات ,,الأموات''، فضلا عن احتكار الإعلام لصالح الفئة المتسلطة، والحيلولة دون رقابة ومحاسبة، ناهيك عن إخضاع جهاز القضاء وسائر أجهزة الأمن، لتمارس القمع وتخدم المتسلطين على البلاد والعباد. وتطوّر ذلك في هذه الأثناء إلى سلاح كيمياوي وبراميل متفجرة وتدمير البشر والحجر والشجر وتشريد نصف الشعب وحصارات التجويع القاتل كما في سورية، وغزو مدن بكاملها كما في العراق، واعتقالات وتقتيل في الشوارع وإعدامات بالجملة كما في مصر.. وهكذا. لهذا يتحدث معظمنا عن ,,انتخابات الدم'' أو ,,المهزلة''، أو ما شابه ذلك.. وليست هذه الشعارات المعبرة عن صدق حدس العامة، بعيدة على الإطلاق عن كلام ,,المتخصصين'' في العلوم السياسية والقانون الدولي. . . . نعلم أن واقع عالمنا المعاصر لا يعرف انتخابات حرة نزيهة تتوافر فيها كامل الشروط التي حددها نظرياً المتخصصون ومواثيق دولية، فالتطبيق في دول ,,ديمقراطية'' يتأثر بحكم ,,الليبرالية الجديدة'' أو ,,الرأسمالية المتوحشة''، ويعطي كلمة الفصل لسطوة المال في أيدي فئات محدودة تتصارع على مواقع نفوذها وهيمنتها داخل بلدانها وعالميا. ويسري ذلك على دول في منتصف الطريق، فيبدو آخره هو ما وصلت إليه الفئة السابقة من الدول، عبر ربط الآليات التطبيقية بمنظومة قيم علمانية / مادية / رأسمالية.. إذا صح وصفها بالقيم أصلاً. نعلم ذلك.. ولكن نتحدث عن بلادنا، وهنا ,,حدّث ولا حرج'' عن درجة متطورة لتزييف إرادة الشعوب، وهي المحور الحاسم في استخدام صناديق الاقتراع لتعيين السلطات، وفي مراقبة تنفيذ برامجها، وفي محاسبتها، وفي إسقاطها. . . . للنزاهة والحرية في آلية الانتخابات شروط عديدة، تندرج تحت ثلاثة أقسام، قبل الانتخابات، وأثناءها، وبعدها. مثال على ما قبل الانتخابات: غياب كل شكل من أشكال الضغوط والإكراه.. فلننظر بهذا المعيار إلى الأوضاع في سورية وأحوالها.. مثال على مجرى عملية التصويت: المراقبة الحيادية المضمونة.. فلنسأل عما سيصنعه حلفاء القتل من روس وإيرانيين في مراقبة تصويت فقد قيمته مسبقاً بعد اغتيال الشروط السابقة لإجراء التصويت. ومثال ثالث على ما بعد عملية التصويت: تطبيق نتائج التصويت وعدم الالتفاف أو الانقلاب عليها.. والمثال على ذلك في مصر مثال صارخ. . . .

لن نجد ,, اقتراعاً '' نزيهاً حراً بمعنى الكلمة، دون سريان مفعول منظومة قيم، محورها الإنسان، نظرياً وتربية وتطبيقا مع وجود ما يكفي من الضمانات والآليات الفعالة لذلك.. ولأن هذا بالذات هو ممّا يفرضه الإسلام فرضاً، لا بد من التشبث بالدعوة إليه والعمل من أجله لإيجاد نظام ينبثق عن الثورة الشعبية ويعبر فعلاً عن الإرادة الشعبية التي صنعت الثورة.

مواسم ثورية .... بنكهة سورية

ل.ن

على الرغم من كل ما عايشناه منذ بداية الثورة، ربما تكون أفضل ما حدث لنا، نحن السوريون، فمن حسن حظنا، أن نعيش موسم الثورات، بصخبها وآلامها، على أن نموت قبل أن نشهد موسماً ثورياً، على اعتبار أن المواسم ترافقنا طيلة حياتنا .تبدأ فكرة المواسم، مع فصول السنة، مروراً بالزراعة والصيد، والمواسم الرياضية والثقافية والاجتماعية، إلى مواسم برامج المواهب الفنية والدراما التركية، وليس أخيراً مواسم العبادة، ورمضان على الأبواب، أيضاً تتزاحم أسواقنا في مواسم التنزيلات، بحثاً عن سعرٍ أقل، كذلك، في مواسم المونة، أما في مواسم العودة للمدارس، فنرى نماذج أخرى، لن تكون جديدة، بحكم التكرار الطويل .هكذا نسير تبعاً لما هو كائن، ربما لضمان النتائج أو لأن التغيير حالة لا تعنينا معظم الأحيان، فلن يسأل أحد عن البطيخ مثلاً في الشتاء، ولن نبالي بغيابه أو حضوره، طالما أن موسمه لم يحن بعد، ولن نفكر يوماً بمونة (الفول والبازلاء)، قبل أن نراها تفترش الأرصفة بكميات كبيرة، تماشياً مع الطبيعة .!لكن هل كانت الثورة السورية جزءاً من موسمٍ ثوري اجتاح البلاد والعقول؟ حقيقةً، لم يعد الجواب مهماً، ولم يكن كذلك منذ البداية، فالثورة قامت، بما لها وما عليها، بالمخلصين لها سوريين وعربا وغيرهم، بالمنافقين والمتلاعبين والمستفيدين. لكن، وبما أنه، موسمنا الثوري الأول، فلنجعله كذلك بجدارة، حتى لا يكون الأخير أو يصبح المكرر .فقد يكون الأخير، بالسكوت على الخطأ، أو التماهي به، حينها لن تكون الثورة إلا موسماً جديداً للاستبداد الذي نعيشه، وربما يكون مكرراً، في حال لم تكن له نتائج ملموسة على أرض الواقع، وهو خوفٌ حقيقي نأمل ألا ينتهي موسمنا الثوري برؤيته بيننا .

الحمزة .. قائد الشهداء

حتى في زمن البطولة يصنع البعض نوعاً فريداً منها، تنظر في حياة الشهيد فتصاب بالخجل مما قدم حتى قبل أن يبذل دمه فداءً لربه ودفاعاً عن أرضه ورفعاً لظلمٍ طال أمده وأشتد سواد ليله .

نبدأ القصة باكراً مع بداية تشكل تلك الشخصية التي ستنال لاحقاً شرفاً لا يقاس بآخر في هذه الدنيا تبدأ بالخلق الكريم وسماحة النفس مقرونة بقوة شخصيةٍ ونقاء سريرة يطمئن لها الجميع ويركن إليها، تسمع في نبرة صوته الصدق، صدق المقال و الهدف .

ثم تأتي أيام الثورة فيكون من أوائل المشاركين يسخّر عقله وماله وساعات يومه لخدمة الأمر، تقلّب أوراق حياة عاشها فتعجب ثم تنطلق لتبحث عن سبب يجعل إنساناً قادراً على الحياة بطريقة يختارها في مكان يختاره على ذاك الخيار.

في مدينته يشكل مجموعة تحت إمرته تسهر الليل على أطرافها وتحمي أمنها ويسهر بدوره على خدمتهم و تأمين ما يحتاجون ، ما عُرف عنه يوماً أنه دخل منزلاً لأحد أو اعتقل إنساناً بشبهة وهو إلى ذلك يعمل بسرية تامة فلا يعرفه إلا العاملون مما أكسبه احترام من حوله وجعله محل ثقتهم . تدور الأيام لتصل الشهر العاشر من سنة 2012 في معركة قدسيا فيكون في المقدمة يقاتل فيها قتال الأبطال قتال من صَدق الله بطلب الشهادة لكن سبيل الخير في حياته مازال مفتوحاً وتلك الصحيفة تطالب بالمزيد .

ثم يتوجه إلى وادي بردى ليكوّن فصلاً جديداً من البطولة .. على قمم الجبال التي تتعب حتى الصحيح المعافى يختار داره وفي ساحات المعارك تحت الرصاص والقذائف يختار عمله، لا يكاد يفتر أو تلين عزيمته من حرب إلى أخرى يضرب عصابات الأسد كلما لاحت له فرصة أو حتى نصف فرصة، فهم الطريقة الصحيحة للعمل فآمن أنه جهاد في سبيل الله فجعل القرآن والسنة دستور حياته بل دستور من حوله وأساساً يختار وفقه من يقاتل إلى جانبه فقبل دخول أي معركة ينبغي أن يكون لك رصيد محدد من كتاب الله تحفظه ومن الناحية الأخرى أمور عسكرية وتدريب بدني عليك اجتيازه .

بعد يوم طويل متعب من التدريب يسكن القائد إلى زمرة محددة ممن حوله يختار هدفاً جديداً يرصد مكانه والأدوات التي يحتاجها ويسعى خلف ذلك فإذا أطمئن لذلك تخيّر من يشاركه العمل وعندما يجتمع له ذلك يتوكل على ربه ويحزم أمره ويبلغ من هم خارجون معه بأن يتأهبوا دون معرفة منهم أين الهدف إلا قبيل الخروج بقليل يعلمهم الخطة ودور كل واحد منهم .

يضرب القائد حاجز الفاخوخ ثلاث مرات ليتمكن في الثالثة من السيطرة التامة عليه لتشكل نقطة تحول في العمل للعسكري للمنطقة ثم يتوجه نحو منطقة القلمون ليشارك في معاركها ثم يكون في جرد إفرة يحمي تلك المنطقة ويخوض فيها معارك لا تشبه معارك المدن بل معارك مفتوحة يُتعب فيها جُند النظام وعناصر حزب اللات يقتلهم في معركة تلو أخرى وكمين يتبع آخر حتى أضحى اسم " الحمزة " يشكل لهم رعباً، ولطواغيتهم هدفاً فكثيراً ما توجه بعضهم بحثاً عنه لقتاله وغالباً ما تكون غايتهم الأخيرة .

وبعد المعركة يلتفت ذلك البطل لمن جرح من عناصره يبذل الغالي والنفيس في علاجهم ولا يترك خلفه جريحاً أو جثة شهيد ولو كان الثمن حياته، ويضطر في إحدى المرات أن يحاصر بلدة اختطف قطاع الطريق فيها شابين يقاتلان إلى صفه ولا يخرج حتى أعادهما وحاسب المجرمين على ما فعلوا .

محمد الصالحاني " الحمزة " يسهر الليل في الجرد يحمي طريقا يشكل عصب حياة لثورة المنطقة وتحاول العصابة الغادرة قطع الطريق مرات ومرات والليث يردهم خائبين . ثم يخطط لضربهم بطريقة تجعلهم ينسون أمر ذلك المكان . ويبدأ التنفيذ ولكن .. يختار البعض الانسحاب من إحدى نقاط رباطهم فتتكون ثغرة خلف ظهر المجاهدين تستغلها العصابة فيجدون أنفسهم بين فكي كماشة ورغم ذلك تقاتل تلك الثلة بكل ما أوتيت ثم فوق طاقتها لتبقي الأمور في نصابها فلا ينال العدو من مبتغاه شيئاً ولا يعدو نصره أكثر من قافلة كريمة من الشهداء الأبرار على رأسهم ذاك الهمام يقودهم إلى جنات ربهم – بإذن الله – كما قادهم في كل معاركه وجولاته .

صنع الانتصارات وقاد الجولات ثم وصل إلى مبتغاه نال شهادة طلبها بصدق سريرة وإخلاص في العمل .

" الثورة محض عملٍ مُخلصٍ لله " ذلك الشعار الذي ارتضاه لنفسه وجعل منه النبراس لكل من يخطو خطواته ويسلك دربه .